رسالة ملكية الى المشاركين
في الاحتفال بالذكرى الأربعين
لتأسيس جامعة محمد الخامس

بمناسبة الاحتفال بمرور أربعين سنة على تأسيس جامعة محمد الخامس الذي انطلقت فعالياته يوم 25 شوال 1418 الموافق 23 فبراير1998 بالرباط وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رسالة ملكية الى المحتفلين بهذه الذكرى . وقد تلا السيد إدريس خليل، وزير التعليم العالي والبحث العلمي والثقافة نص الرسالة المولوية السامية التي نقدم فيما يلي نصها الرسمي:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

حضرات السيدات والسادة،

نتوجه اليكم في مفتتح هذا الحفل العلمي البهيج، معبرين لكم عما يخالجنا من مشاعر الارتياح والرضى لإحيائكم ذكرى مرور أربعين سنة على تأسيس جامعة محمد الخامس. فهذا الحدث التاريخي ليس بالأمر الذي يمكن إحياء ذكراه من غير استحضار المرحلة التاريخية المجيدة التي كانت بلادنا تجتازها والتي تم خلالها إنشاء هذه الجامعة. إنه حدث لا يمر بالذاكرة إلا ويثير فينا تداعيات وجدانية وخواطر فكرية تشدنا الى بطل التحرير والاستقلال، جلالة والدنا محمد الخامس طيب الله ثراه وأحسن مثواه، الذي كان قد جاهد لتحرير المغرب وبناء دولته الحديثة على أسس جامعة بين الأصالة والمعاصرة. ولهذا عمل على إنشاء هذه الجامعة غداة تحقيق الاستقلال لتتحمل قسطها في الاقلاع بالمغرب نحو الأفق الجديد الذي كان يسعى رحمه الله الى أن يرتقي اليه شعبه الوفي.

ومما هو جدير بالذكر في هذا السياق أن بلادنا حينما أقدمت على إنشاء أول جامعة عصرية منذ أربعين سنة إنما سعت الى ربط ماضيها

بحاضرها ومواصلة تنمية رصيدها العلمي والمعرفي عن طريق تحديث المؤسسة الجامعية . ذلكم أن جامعة القرويين بالمغرب كانت من اقدم الجامعات في العالم الإسلامي وفي أوروبا نفسها وعندما أنشئت معظم الجامعات الأوروبية الكبرى في القرن الثالث عشر الميلادي قبل عصر النهضة الحديثة بقرون كانت جامعة القرويين جامعة قوية الاشعاع في الشرق والغرب وظلت على مدى القرون العشرة الماضية صرحا جامعيا يواكب تطلعات المجتمع المغربي الى المعرفة ويعمل على تأطير مؤسسات الدولة والحفاظ على الثقافة الاسلامية والهوية المغربية.

ويكفي أن نستحضر عهد الدولة العلوية المنيفة بسلاطينها البناة للمؤسسات العلمية والحماة للحوزة الوطنية لنقف على منجزاتهم في سبيل دعم رسالة الجامعة «جامعة للقرويين يومئذ» والعناية بالعلم والعلماء والمكتبات والمدارس وإصلاح برامج التكوين والتلقين وفي عهد جدنا السلطان المولى الحسن الاول كانت الرغبة في الإفادة من التطور العلمي والتقدم الحضاري اللذين شعر أسلافنا الميامين بضرورة مواكبتهما قد تجسدت في إيفاده للبعثات الطلابية الى الخارج في كل من أوروبا والشرق العربي وقد أدرك جلالة والدنا المنعم رحمة الله الذي رفقناه في جهاده ونضاله أن تحقيق الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية ليسا سوى وسيلة لبناء مغرب قوي ودولة حديثة وذلك بالعمل على تكوين الأطر التي سيعهد اليها بعد الاستقلال بالتخطيط لمشاريع التنمية ومتابعة إنجازها لأن تحقيق السيادة الوطنية إنما يتم من خلال اكتساب كل الخبرات الضرورية لبناء دولة عصرية ومجتمع يؤهل أبناءه باستمرار لمواكبة العصر مواكبة يرقى من خلالها الى مصاف دول العالم وشعوبه الناهضة. وما ان بزغ فجر الاستقلال حتى صدع بطل التحرير بمشروع أحداث الجامعة التي تحمل اسمه الخالد منذ أربعين عاما وستظل تحمله مزهوة به معتزة بتخليده وقد عاهدت نفسها ومؤسسها يومئذ على تحقيق الجمع بين العلم والفضيلة ويقظة الضمير.

واقتفاء لأثر والدنا المنعم في هذا المجال وعملا على إنجاز كل ما وعد به شعبه الوفي وكل ما انشغل خاطره من بناء المغرب الحديث على أسس العلم والنظم الديمقراطية ركزنا جهودنا على تطوير التعليم العالي وتوسيع آفاقه وتعزيز مؤسساته فأخذت هذه الجامعة حظها من عنايتنا الى ان اكتملت اليوم بكلياتها المتعددة وتوالي إنشاء المعاهد المتخصصة التابعة لها لتضطلع بتخريج العلماء والأطر التقنية الساهرة على المؤسسات القطاعية وتأطير مشروعات التنمية فضلا عن تزويد المؤسسات العمومية بأطرها الكفاة وفقا لما رسمناه لها وما كنا نتوقعه من نتائج بتوفيق من الله وموصول تسديده وعونه.

وهكذا أولينا المؤسسة الجامعية في بلادنا ما تستحقه من اهتمام وشخصنا ذلك في إصدار الظهير الإصلاحي لسنة 1975. فلم تلبث هذه الجامعة ان حققت نتائج علمية استحقت الاعتراف بها في الساحة الدولية في العديد من التخصصات العلمية المتفرعة عن العلوم الرياضية أو العلوم الدقيقة أو التقنية وغيرها من العلوم الإنسانية والاجتماعية.

كما عملنا بموازاة تنمية هذه الجامعة الام على إنشاء جامعات متعددة في كل جهات مملكتنا تقريبا للتعليم العالي من المواطنين وتجسيدا لسياسة الجهة وما تقتضيه من توجهات في البحث العلمي تلائم المحيط الاجتماعي والاقتصادي الجهوي. كما كان من الطبيعي ألا نقف عند مكتسبات الإصلاح الأول المذكور رغم أهميته فقررنا ان نطور تلك المكتسبات بدورها عندما أصدرنا توجيهاتنا الملكية لإصلاح التعليم العالي والبحث العلمي وتكييفهما لتطلعات الجامعة للاندماج في الظرفية الاقتصادية الجديدة.

حضرات السيدات والسادة،

إن التفاعل المطلوب بين الجامعة وبين محيطها من ناحية وبينها وبين الأهداف المستجدة في المجتمع الذي تنبثق فيه من ناحية أخرى يجعل المسؤولين عنها يحرصون على تحقيق التطابق بين مناهجها وبين متطلبات

تنمية ذلك المجتمع وارتقائه لان تفاعل أي مجتمع مع العوامل المستجدة والأطوار الحضارية يلقي على الجامعة مسؤلية إعداد الموارد البشرية وتأهيلها لخوض المنافسة داخل المعترك الدولي ومواكبة التطور الحضاري.

فعلى التعليم العالي الذي أصبح متناميا بصورة لا يمكن التحكم في سيرورتها ان يجدد النظر في وسائله وأهدافه بالنسبة للحاضر وللمستقبل القريب، إذ من غير المقبول أن تفقد الجامعة العلاقة العضوية بين المناهج المقررة والتخصصات الممارسة من جهة وبين واقع محيطها الاقتصادي والاجتماعي من جهة أخرى وذلك لتكوين طلابها التكوين الملائم لما ينتظره منهم وطنهم ومجتمعهم.

بيد أن التطور المتلاحق في مختلف الحياة الإنسانية والعمل على مواكبته في التكوين الجامعي والبحث العلمي لا يجوز لهما ان ينسيانا ثوابت التكوين الجامعي ووظيفة الجامعة المثلى، فالجامعة يجب ان تظل صرحا للعقل وليقظة الضمير الإنساني . أما أن تظل صرحا للعقل فلأن العقل هو سبيل استكشاف الحقيقة من خلال الملاحظة المتبصرة والمنهجية السديدة والنقد الذاتي المتواصل وهي القيم التي قام عليها العلم واتخاذها العقل دستورا له، وأما أن تظل الجامعة حرما للضمير، فلأن العلم مهما اتسع مجاله وزادت كشوفاته فإنه يظل عقيما اذا لم تواكبه الفضيلة والمبادئ الأخلاقية الأساسية التي من شأنها أن توظفه في إنشاء حضارة يتكامل في ظل ازدهارها العقل والوجدان والقيم المادية والروحية على حد سواء.

لقد مثلت جامعة محمد الخامس ولا تزال تمثل كغيرها من الجامعات الأخرى في مملكتنا إرثا غاليا ومكسبا ثمينا بحكم سهرنا الدؤوب على الدفع بها الى أرقى المراتب العلمية المرموقة واعتبارا لهذه الحظوة التي اختصت بها هذه الجامعة لدينا لم نتردد في انتمائها على تكوين فلذات أكبادنا فانتسب اليها كل من أصحاب السمو الأمراء والأميرات وفي مقدمتهم ولي عهدنا الأرضى الأمير سيدي محمد.

وإننا لن نألو جهدا في دعم تطورها وتقدمها وتوسيع نطاق إشعاعها حتى تتمكن من مواجهة مختلف التحديات التي سيحملها اكتساح العولمة لكل مجالات حياتنا وما قد يترتب على منطقها من مضاعفات الى جانب تسارع دينامية الاقتصاد الشمولي والتطور التكنولوجي وما يفرضه هذا التسارع من ضرورة للتكيف مع وتيرته.

ومعنى ذلك أنه يتحتم أن نجعل من سنة هذه الذكرى سنة تقييم ونقد ذاتي انطلاقا من التجربة الجامعية برمتها ومن خلال مختلف ابعادها الجامعية وغير الجامعية لاستشراف الأفق المنظور لتطورها وتجاوبها مع طموحنا وتوجهاتنا. وبما أننا نعلم سلفا أن جامعة محمد الخامس قد بلغت الآن سن الرشد أو تجاوزته فالأمل معقود على أن تتمكن من إنجاز وثبة جديدة في اتجاه العمل الهادف لتنمية البحث العلمي وانفتاحه على المحيط الجهوي والوطني مع الالتزام بتحصين الهوية الوطنية وقيم العلم والضمير الخلقي وجعل حرمها حرما آمنا للعقل المتبصر والوجدان اليقظ والعلم الحق الذي وحده يميز اليوم بين الشعوب والأمم ويؤهلها لاستحقاق التكريم الالهي والتفوق الحضاري. «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب»

صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وحرر بالقصر الملكي العامر بالرباط
في يوم الجمعة 22 شوال عام 1418 هـ
موافق 20 فبراير سنة 1998.